Journal Of the Iraqia University (72-5) December (2024)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

سياقات التحميدات النورية بين الإيمان والقرآن والإسلام- دراسة تحليلية-

أ.م.د. فرهاد إبراهيم أكبر الشواني

أستاذ مساعد بكلية العلوم الإسلامية بجامعة صلاح الدين/ أربيل-العراق

"The Contexts of Divine Praises among the Faith, the Holy Qur'an and the Islam: -An Analytical Study"-

Assis.Prof.Dr. Farhad Ibrahim Akbar AL-SHwany
Assistant Professor, College of Islamic Sciences, University of Salahaddin / Erbil-Iraq
Mail: farhad976@yahoo.com

ملخص البحث:

دلالة الحمد عرفاً عند الإمام بديع الزمان النورسي أعمق من أن تكون باللسان فقط، إذ يراد بها تعظيم المنعم على النعمة باللسان أو الجنان أو الأركان، وعلى هذا الإساس يكون بين الحمد العرفي والشكر العرفي عموم وخصوص مطلق، فالحمد أعم، والشكر أخص إذ يراد به صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله وهو العبادة، إذ العبودية في حقيقتها هي أسمى منازل الرقي المعنوي الذي يطمح السالك بلوغها وعلى أساسها يتحدد الكمال الإنساني، وحظ العبد من ذلك الكمال رهينُ اعترافه بعجزه، وإقراره بضعفه، ومفصحاً عن احتياجه لمعيّة الخالق الكريم بلسان الحال والمقال، والطريق الموصل لذلك هو أن يتجسد الإنسان حقيقة معاني الحمد والشكر للمنعم الأزلي الذي بيده مقاليد السموات والأرض.فالنعم المُغدَقة على الإنسان لا عدّ لها ولا حصر، وجميعها تدخل ضمن نعم أساسية ثلاث من باب ارتباط الأجزاء بالكل وهي: (الإيمان والقرآن والإسلام)، بمعنى آخر أن هذه النعم الثلاث وسيلة لمعرفة المُنعِم الحقيقي لجميع النعم الجزئية الأخرى، فلولاها لما حصل الإقرار والاعتراف بجميل كرم الله تعالى وكونه المُتفضل بالنعم الجزئية مادية كانت أم معنوية، فبقاء النعم ودوامها مرتبط بدوام هذه النعم الثلاث وهذا لا يكون إلاّ بمواصلة حمد لله تعالى وشكره عليها.

Abstract:

The meaning of praise according to Imam Badī' al-Zaman al-Nursi is deeper than being expressed by the tongue only, as it is intended to glorify the One who bestowed the blessing by the tongue, the heart, or the limbs. On this basis, there is an absolute generality and specificity between the conventional praise and the conventional gratitude. Praise is more general, and gratitude is more specific, as it is intended to direct the servant to all that God has bestowed upon him of hearing, sight, and other things to that for which he was created, which is worship. As servitude in its reality is the highest level of spiritual advancement that the traveler aspires to reach, and on the basis of it human perfection is determined. The servant's share of that perfection is dependent on his admission of his inability, his acknowledgment of his weakness, and his expression of his need for the company of the Generous Creator by the tongue of action and speech. The path leading to this is for the human being to truly embody the meanings of praise and gratitude to the Eternal Bestower in whose hand is the keys to the heavens and the earth.The blessings bestowed upon man are countless and innumerable, and all of them fall within three basic blessings in terms of the connection between the parts and the whole, which are: (faith, the Qur'an, and Islam). In other words, these three blessings are a means of knowing the true benefactor of all the other partial blessings. Without them, there would be no acknowledgement and recognition of the beautiful generosity of God Almighty and His being the benefactor of partial blessings, whether material or spiritual. The continuity and permanence of blessings is linked to the permanence of these three blessings, and this can only be achieved by continuing to praise and thank God Almighty for them.

المقدمة

الحمد لله على نعمة الإيمان والقرآن والإسلام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف البرية وخير الأنام، وعلى آله وصحبه ذوي الفضل والإكرام. أما بعد:فإن الانتساب لله تعالى نابع من الإيمان القائم على الحجج والبراهين التي تجعل لطائف الإنسان راضخة للأوامر الصادرة عن المعبود الحق، ومنقادة للتكاليف الشرعية على ضوء تبدلها من الإمكان العادي إلى الإمكان العقلي كما هو مبيَّنٌ عند المناطقة في مصنفاتهم، وبمعنى آخر إن امتزاج اللطائف الإنسانية من روح وقلب وعقل وشعور ووجدان وغيرها ودورانها حول مرتكز واحد وغاية واحدة تجعلُ الإنسانَ مُسخراً لتحمل المسؤولية المناطة به في حدود المكان الذي يعيش فيه، وهذا يعني التسليم المطلق لخالقه الكريم من حيث انصياعه للأوامر التكوينية والأوامر التشريعية، ويعبر عن هذا النوع بالإيمان التحقيقي الذي يفتح للإنسان أبواب العروج نحو الكمالات والمشاهد النورانية، وأن السبيل الموصل إلى هذا النوع من الإيمان وأساسه هو القرآن الكريم والإسلام، واستناداً على هذه الحقيقة فقد وردت في رسائل النور تحميدات مباركة وفي سياقات مختلفة تضمنت إقرارا بفضل الله تعالى، واعترافا بجوده وكرمه على ما أنعم على المؤمنين بنعمة الإيمان والقرآن والإسلام ليحضوا بالسعادة في الدارين يقول النورسي مؤكدا لتلك المعاني: ((فإيماني هذا لذةٌ ما بعدها لذة، لذة كافية وافية ودائمة، وسعادة خاصة نقية لا يعكرها ألمٌ، ففهمت من تلك الآية الكريم: (حسبنا الله ونعم الوكيل) كم يكون إذن عبارة " **الحمد لله على نعمة الإيمان**" عبارة جديرة ولائقة))[1].وبناء على ما سبق وإنعامنا النظر في رسائل النور وجدنا أن عبارة: (الحمد لله على نعمة الإيمان) وردت في رسائل النور في سياقات متعددة ومناسبات مختلفة، فقد وردت منفردة في أماكن، وأحيانا اقترن بها لفظ (القرآن) تارة، ولفظ (الإسلام) تارة أخرى، ولكل سياق موضوع يناسبه وله ارتباط محدد بتلك العبارة، وبيان ذلك كالآتي:

١- الحمد لله على نعمة الإيمان.

٢- الحمد لله على نعمة الإيمان والقرآن.

٣- الحمد لله على نعمة الإيمان والإسلام.

أسباب اختيار البحث:

١- إبراز الحامل والمقتضي الذي يدفع بالحامد أن يجعل تلكم النعم الثلاث – الإيمان والقرآن والإسلام- مناط شكره وعرفانه.

٢- إيجاد الصلة الوثيقة والقاسم المشترك بين هذه النعم التي توجب على العباد شكر المنعم عليها.

أهمية البحث:

١- إبراز أهمية هذه التحميدات ومنزلتها العظيمة في الأوراد والأذكار والتي أخذت حظاً كبيراً من دعاء الأستاذ النورسي-رحمه الله-.

٢- إستشعار عظم هذه الأنعم الثلاث من حيث انعكاسها على ازدهار حياة الفرد المسلم المادية فضلا عن الرقي المعنوي الذي يحظى به نتيجة جعل تلك النعم وسيلة للتقرب من المنعم الكريم جل جلاله؛ لأن الطبيعة البشرية قاصرة بسبب ضعفها وعجزها عن بلوغ مآربها وحاجاتها التي لا حد لها فكان حمد المنعم وشكره على تلكم النعم إقراراً منها بالضعف والعجز، واعترافا منها بالجميل والإحسان المُغدَقِ عليها من قبل خالقها تعالى.

٣- إبراز الداعي من تلك التحميدات من حيث كونها جاءت في سياقات مختلفة تناسب الموضوع الذي وردت فيه.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث والمادة العلمية تقسيمها على مقدمة ومبحثين وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع، فخصصت المبحث الأول للتعريف بالحمد ودلالتها في رسائل النور، وأما المبحث الثاني فقد ارتأيت الحديث فيه عن سياقات التحميدات النورية، وختمت بحثي بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم أردفته بقائمة للمصادر والمراجع.وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول التعريف بالحمد ودلالته في رسائل النور[2]

أولاً: التعريف بالحمدالحمد مصدر مشتق من حَمَدَ، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم إحدى وستون مرة، ضمن اشتقاقات مختلفة، فقد جاء بلفظ: الحمد، وبحمد، وبحمدك، وبحمده، وحميد، ويحمدوا، والحامدون. وقد استعمل لفظ الحمد في كلام العرب بمعنيين: **أولهما:** بمعنى المدح والثناء وهو نقيض الذم، يقال حَمِدْتُ فلاناً على فعله. ورجل محمود ومحمّد، إذا كثُرت خصاله المحمودة غيرُ المذمومة[٣].وقد جاء في القرآن الكريم بهذا المعنى، قال تعالى: {وَيُحِبُّونَ أَن يحْمَدُوا بِمَا لم يَفْعَلُوا}[٤]. وفي قوله تعالى: {ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك}[٥] أي نخلط التسبيح بالحمد ونصله به، والحمد: الثناء [٦].يقول الأستاذ النورسي- رحمه الله-: "أما {نسبح بحمدك} فكلمة جامعة، أي نعلنك في الكائنات بأنواع

العبادات، ونعتقد تنزهك عما لا يليق بجنابك بتوصيفك بأوصاف الجلال، وما هو إلاّ من نعمك المحمود عليها، ونقول: سبحان الله وبحمد"، ونحمدك ونصفك بأوصاف الجلال والجمال"[٧].وقد ذكر ابن كثير أنه: " لما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة، ويستلزم إثبات الكمال، كما أن الحمد يدل على إثبات صفات الكمال مطابقة، ويستلزم التنزيه من النقص –قرن بينهما في هذا الموضع، وفي مواضع كثيرة من القرآن؛ ولهذا قال: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[٨] [٩].

ووضح العلماء فروقاً بين الحمد والمدح من جوانب كثيرة منها [١٠]:

١– الحمد الثناءُ على الجميل من نعمةٍ أو غيرها مع المحبة والإجلال. فالحمد: أنْ تذكر محاسنَ الغير، سواء كان ذلك الثناءُ على صفةٍ من صفاتهِ الذاتية كالعلم والصبر والرحمة والشجاعة، أم على عطائه وتَفضُّلهِ على الآخرين. ولا يكون {الحمد} إلا للحَيّ العاقل. وهذا من أشهر ما فُرِّقَ بينه وبين المدح. فإنك قد تمدح جماداً، وقد تمدح حيواناً ولكن لا تحمده، فقد تقولُ كلاماً في مدح الديك، وفي مدح البقر، وفي مدح الكلب، وفي مدح الذهب، وفي مدح اللؤلؤ وغير ذلك، ولكن لا تحمده.

٢– إن المدح قد يحصل للحي ولغير الحي، ألا ترى أن من رأى لؤلؤة في غاية الحسن أو ياقوتة في غاية الحسن فإنه قد يمدحها، ويستحيل أن يحمدها، فثبت أن المدح أعم من الحمد.

إن المدح قد يكون قبل الإحسان، وقد يكون بعده، أما الحمد فإنه لا يكون إلا~ بعد الإحسان". فإن الحمد يكون لما هو حاصل من المحاسن في الصفات، أو الفعل، فلا يحمد من ليس في صفاته ما يستحق الحمد، ولا يحمد من لم يفعل جميلا. أما المدح، فقد يكون قبل ذلك، فقد تمدح إنسانا ولم يفعل شيئا من المحاسن والجميل، ولذا كان المدح منهيا عنه، بخلاف الحمد، فإنه مأمور به، فقد قال صلى الله عليه وسلم: " إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمِ التُّرَابَ"[١١]. في حين قال: "من لم يحمد الناس لم يحمد الله"[١٢].

٣– وهناك فرقٌ آخر بين الحمد والمدح، وهو أنَّ في الحمد تعظيماً وإجلالاً ومحبة، ما ليس في المدح، فكان اختيار (الحمد) أولى من اختيار (المدح) **ثانيهما:** الحمد بمعنى الشكر، فكما تقول: الحمد لله، تقول أيضاً: الشكر لله [١٣] ولا فرق بينهما واختاره الطبري قائلا:" ولا تَمانُع بين أهل المعرفة بلغات العرب من الحُكْم، لقول القائل: "الحمد لله شكرًا" – بالصحة. فقد تبيّن – إذْ كان ذلك عند جميعهم صحيحًا – أنّ الحمد لله قد يُنطق به في موضع الشكر، وأن الشكر قد يوضع موضعَ الحمد. لأن ذلك لو لم يكن كذلك، لما جاز أن يُقال: "الحمد لله شكرًا"، فيُخْرِج من قول القائل "الحمد لله" مُصَدَّرَ: أشكُرُ، لأن الشكر لو لم يكن بمعنى الحمد، كان خطأ أن يُصَدَّرَ من الحمد غيرُ معناه وغير لفظه"[١٤].وقد ورد عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أنه قال: " الحمد لله كلمة كل شاكر"[١٥]. إذ جاء بهذا المعنى في القرآن الكريم كثيراً، منه قوله تعالى وصية لنوح عليه السلام:{ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[١٦]، وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام:{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ }[١٧]، وقال في قصة داود وسليمان: { وَقالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنا عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ}[١٨]، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: { وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً}[١٩]، وقال أهل الجنة: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ}[٢٠]وقولهم: { وَآخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ}[٢١].وذكر الجرجاني أن لا فرق بين الشكر اللغوي [٢٢] والحمد العرفي [٢٣]؛ لأن كلاهما يفيدان تعظيم المنعم والثناء عليه لكونه منعماً.وقال ابن منظور: " والحمد والشكر متقاربان والحمد أعمهما لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه ولا تشكره على صفاته"[٢٤].

وقال القرطبي: "قال علماؤنا: الحمد أعم من الشكر، لأن الحمد يقع على الثناء وعلى التحميد وعلى الشكر، والجزاء مخصوص إنما يكون مكافأة لمن أولاك معروفا، فصار الحمد أعم في الآية لأنه يزيد على الشكر " [٢٥] وقال ابن الجوزي:" الْحَمد: ثَنَاء على الْمَحْمُود، ويشاركه الشُّكْر. إِلَّا أَن بَينهمَا فرقا وَهُوَ أَن الْحَمد قد يَقع على سَبِيل الِابْتِدَاء، وعَلى سَبِيل الْجَزَاء. وَالشُّكْر: لَا يكون إِلَّا فِي مُقَابلَة النِّعْمَة، فَكل شكر: حمد، وَلَيْسَ كل حمد شكرا"[٢٦] ويبدو من خلال ما تقدم أن الحمد معنىً هو نظير الشكر في عرف الناس واستعمالاتهم وهذا **ما ذكره النورسي في رسائل النور** [٢٧]، إلاّ أنه في القرآن الكريم قد استعمل للثناء والتعظيم والشكر المخصوص بالله تعالى لكونه إلهاً وخالقاً ومنعماً، فالحمد يليق بمقام الله تعالى وحده، فهو يفيد التعظيم والتقديس والتنزيه بسبب نعمة واصلة إليك أو إلى غيرك، بينما الشكر مشترك يليق بمقام الخالق والمخلوق إزاء النعم المقدمة منهما، فمن أسدى إليك بالتحديد معروفاً فأنت تبدي له الشكر بالقول أو القلب أو الجوارح من دون تعظيم ولا تقديس.وإلى هذا المعنى يشير الفخر الرازي بقوله:" وأما الفرق بين الحمد وبين الشكر فهو أن الحمد يعم ما إذا وصل ذلك الإنعام إليك أو إلى غيرك، وأما الشكر فهو مختص بالإنعام الواصل إليك...، فقوله الحمد لله أولى من قوله الشكر لله لأن قوله الحمد لله ثناء على الله بسبب كل إنعام صدر منه ووصل إلى غيره وأما الشكر لله فهو ثناء بسبب إنعام وصل إلى ذلك القائل، ولا شك أن الأول أفضل لأن التقدير كأن العبد يقول: سواء أعطيتني أو لم تعطني فإنعامك واصل إلى كل العالمين، وأنت مستحق للحمد العظيم"[٢٨].

ثانياً: دلالة الحمد في رسائل النورإن رسائل النور لم تحصر نظرها في ألفاظ القرآن الكريم لفظة لفظة، بل حاولت توسيع معانيها لتشمل جميع المقاصد والحكم التي يحتاجها الإنسان في حياته لتستقر لطائفه فينعم بالسعادة الروحية والقلبية والجسدية في ظل الإيمان النابع من الكتاب المقروء والمنظور– القرآن الكريم والكون وعلى هذا الإساس تلهمنا رسائل النور إلى الإفادة من المعطيات التي نشاهدها في الكون آفاقا وأنفسا؛ لنستدرك حقيقة ما يريده منا خالقنا الكريم، ونكون على إحاطة تامة بالعلة الغائية [٢٩] التي خلقنا من أجلها وهي: الحمد والإقرار بالجميل حقيقة ويقيناً، وهذا هو أساس وجود الوجود؛ فبه يستشعر الحامد بعد الإقرار بالعجزِ والضعفِ والفقرِ جميلَ فضل الله تعالى عليه، وسعة كرمه؛ ليظفر بالانتساب إلى قوة عظيمة تملك زمام الوجود من الذرات إلى المجرات ، فيقول الأستاذ النورسي ما نصه:" إن ذلك المنعم الحقيقي يطلب منا ثلاثة أمور لتلك النعم الغالية: الأول: الذكر.. الثاني: الشكر.. الثالث الفكر، فـ"بسم الله" بدءا هي ذكر، و"الحمد لله" ختاماً هي شكر، وما يتوسطهما هو الفكر"[٣٠]ولقد أولت رسائل النور اهتماما كبيراً بترسيخ المفاهيم الإيمانية التي يحتاجها الإنسان في حياته، ووضحت له المصطلحات البارزة في القرآن الكريم كمصطلح (الحمد) المتضمن لجميع معاني الثناء والشكر، ووصفته بالعلة الغائية كما أشرنا إلى ذلك مسبقاً، فقد جاء فيها وبالتحديد في قوله تعالى في سورة الفاتحة:{ الحمد لله رب العالمين}، أن وجه النظم في {الحمد} يكون مع ما قبله في البسملة التي أثبت لله صفتي {الرحمن} و {الرحيم} باعتبارهما نعمتين عظيمتين ودقيقتين شملتا الكون كله مما يستوجبان تعقيب الحمد، فالابتداء بـ{الحمد لله} وجعله فاتحة القرآن هو الحمد صورة إجمالية للعبادة التي هي نتيجة الخلقة، والمعرفة التي هي حكمة وغايةٌ للكائنات، فكأن ذكرَه تصور للعلة الغائية وهو قوله تعالى:{وما خلقت الجنَّ والإنس إلاّ ليعبدون}[٣١] [٣٢]وعلى هذا الإساس فإن النورسي يرى أن كلمة {الحمد} المستهل بها في سورة الفاتحة متضمنة معنى (الشكر العرفي) الذي هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله وهو العبادة [٣٣]فدلالة {الحمد} عرفاً عند النورسي أعمق من أن تكون باللسان فقط، إذ يراد بها تعظيم المنعم على النعمة باللسان أو الجنان أو الأركان، وعلى هذا الإساس يكون بين (الحمد العرفي) و (الشكر العرفي) عموم وخصوص مطلق [٣٤]فيقول –رحمه الله– مشيراً إلى ذلك المعنى:" فإذا صرف الإنسان كل ما أنعم عليه إلى ما خلق لأجله أيفاءً للشكر العرفي– الداخل تحت(الحمد) – وامتثالاً للشريعة التي هي جلاء لصدأ الطبيعة، يصير كلُ أنموذج مشكاةً لعالمه ومرآة له وللصفة المتجلية فيه والاسم المتظاهر منه، فيكون الإنسان بروحه وجسمه خلاصة عالمي الغيب والشهادة، ويتجلى فيه ما تجلى فيهما. فبالحمد يصير الإنسان مظهراً للصفات الكمالية الإلهية [٣٥]ومن جانب آخر أشار النورسي إلى أن عبارة {الحمد لله} الواردة في سورة الفاتحة قد تكررت أيضاً في أربع سور من القرآن، وهي: (الأنعام ، والكهف ، وسبأ ، وفاطر)، وكل واحدة منها ناظرةٌ إلى نعمة من النعم الأساسية التي هي: النشأة الأولى، والبقاء فيها، والنشأة الأخرى والبقاء بعدها، ففي سورة الأنعام إشارة إلى الإيجاد الأول، قال تعالى:{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ }[٣٦]، وفي سورة الكهف إشارة إلى الإبقاء الأول: قال تعالى: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا}[٣٧]، وفي سورة سبأ إشارة إلى الإيجاد الثاني، قال تعالى:{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ }[٣٨]، وفي سورة فاطر إشارة إلى الإبقاء الثاني، قال تعالى: { الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٣٩]، فنعم الله تعالى لا تعد ولا تحصر وجميعها ترجع إجمالاً إلى إيجاد وإبقاء في النشأة الأولى، وإيجاد وإبقاء في النشأة الآخرة، وقد أشير في سورة الفاتحة إلى جميع تلك النعم وابتدأت بالتحميد؛ لأنها ديباجة نعمه المذكورة في كتابه العزيز بقوله جل وعلا: {الحمد لله رب العالمين}[٤٠]مما تجدر الإشارة إليه أن رسائل النور قد استعرضت دلالة الحمد وبيّنت مفاهيمها بالاستناد على فيض القرآن الكريم شاملة جميع الآيات التي ورد فيها كلمة الحمد ومشتقاتها، فهي برمتها تدور حول مصطلحات خمسة تفهم من خلال إنعام النظر في سطور رسائل النور وهي: (المحمود، والمحمود عليه، والحامد، والمحمود الحامد، والحامد المحمود) وكل منها تشير إلى أمر معين، وبيان ذلك كالآتي:**أولاً: المحمود**، وهذه صفة اختُصَّ بها الله تعالى كما أشار النورسي بعبارة (المحمود المطلق سبحانه) [٤١]، وقد أثبتها القرآن الكريم بقول تعالى: {الحمد لله}، ففي اللام في كلمة {لله} إشارة إلى اختصاص الحمد بالذات المقدسة –الواجب الوجود– وهي تنبئ أيضاً إلى الإخلاص والتوحيد [٤٢].يقول النورسي بهذا الصدد:" نعم، كما أن ذلك القادر الجليل هو المعبود الحق، فالمحمود بالحق أيضاً إنما هو وحده. وكما أن العبادة خاصة به وحده، فالحمد والثناء أيضاً يخصانه سبحانه" [٤٣]وأوضح من ذلك فإن رسائل النور قد أثبتت أن اختصاص الله تعالى بالحمد فيما جاء في (لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد...)، أي أن الكمالات التي هي سبب المد والثناء في الموجودات كافة، تخصه وحده سبحانه. ولهذا فالحمد أيضا له وحده، فكل ما صدر وما يصدر من مدح وثناء من الإزل إلى الإبد، وممن صدر وعلى من وقع، يخصه وحده؛ لأن كل ما هو سبب المدح والثناء من كمال وجمال ومن نعم وآلاء وكل ما هو مدار الحمد، هو لله تعالى، ويخصه وحده [٤٤]:ومن جانب

آخر تثبت رسائل النور صفة المحمودية لله تعالى من حيث كونها مختصة به على لسان جميع الحامدين والشاكرين، وفيها: "لا إله إلا الله هو المحمود لكل الحامدين" [٤٥]، حتى نقل عن أهل التأويل أن: الحميد اسم الفردانية، لا يحمد ولا يشكر غيره [٤٦]**ثانياً: المحمود عليه،** وهي جميع النعم الظاهرة والباطنة التي أسبغها المحمود على مخلوقاته فجميعها موجبة للحمد والشكر كما أمر الله تعالى في آيات كثيرة: {افلا يشكرون} [٤٧]، {وسنجزي الشاكرين} [٤٨]، {لئن شكرتم لأزيدنكم} [٤٩]، {بل الله فاعبد وكن من الشاكرين}[٥٠]، فأجل عمل يطلبه الخالق الرحيم من عباده هو الشكر ويوليه أهمية خاصة بإظهاره أن الاستغناء عنه تكذيب للنعم الإلهية وكفران بها، ويهدد بها في سورة الرحمن مرارا وتكرارا بقوله: {فبإي آلاء ربكما تكذبان}[٥١]، تهديدا مرعباً، وينذر الجن والإنس إنذاراً مهولاً. فالشكر نتيجة الخلق والغاية منه، ذلك لأنه إذا ما أنعم النظر في الكائنات لتبيّن: أن هيأة الكون ومحتوياته قد صممت بشكل ووضعت على نمط بحيث تنتج الشكر وتفضي إليه، لأننا نرى أن موجودات العالم قد صممت بطراز يشبه دائرة عظيمة، وخلقت الحياة لتمثل نقطة المركز فيها، فنرى: أن جميع الموجودات تخدم الحياة وترعاها وتتوجه إليها، وتتكفل بتوفير لوازمها ومؤنها، ونتيجة تلك الخدمة تؤول إلى الإنسان بالنفع لتكون مسخرة له وفي خدمته فيكون سيدا عليها وحاكما لها، وكذا نعمة التذوق والالتذاذ، والصور الجميلة الزاهية، والروائح الزكية الطيبة، والطعوم اللذيذة والمذاقات الطيبة، جميعها مدعاة إلى الحمد والشكر ، فالوسيلة التي تمكن الإنسان من العروج إلى مقام (أحسن تقويم) هي الشكر[٥٢]وقد ذكر النورسي كلاماً دقيقاً يظهر فيه أهمية النعمة لسوق الإنسان إلى الحمد والشكر، فيقول:" لابد للحامد أن ينظر من النعمة إلى الإنعام، ليرى أن المُنعم أبصرُ به وأقربُ منه إليه؛ يتعرف بالإنعام، ويتودد بالإحسان، ويتحبب بالإكرام إلى الإنسان، فالإنسان إنما يكون شاكراً إذا استشعر ذلك التعرف والتودد "[٥٣]**ثالثاً: الحامد،** وهي صفة أثبتها الله تعالى للخواص من عباده المؤمنين الشاكرين، فقال: {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [٥٤]. فاختص بها الأنبياء من قبل، كما قال الله تعالى في حق سيدنا نوح –عليه الصلاة والسلام–: {إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [٥٥]، وقال في حق سيدنا إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ [٥٦]، وقال لآل داود: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [٥٧]والشكر وصية الله تعالى لحبيبه محمد–صلى الله عليه وسلم–: {بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [٥٨]، فعن عائشة –رضي الله عنها– أن نبي الله –صلى الله عليه وسلم –:كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: "أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا"[٥٩]وقد وصف الله تعالى عباده المؤمنين بكونهم حامدين بقوله: {التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [٦٠]ويذهب بنا النورسي إلى عوالم أخرى غير الإنسان وهي حامدة شاكرة بلسان الحال والمقال، فيقول ما نصه: "فكل حيوان يؤدي عبادته الخاصة به، بلسان الحال والمقال مسبحاً خالقه وبارئه ومعبوده مقدساً إياه من القصور والشرك، حامداً شاكراً لأنعمه وآلائه"[٦١].ويقول في موضع آخر: "فالنباتات المتزينات المتزهرات المثمرات المسبحات بأوراقها، والحامدات بأزهارها، والمكبرات بأثمارها، على الله دليل"[٦٢]فما يجري في الكون الذي هو قرآن منظور من صور الحمد والشكر من قبل المخلوقات تطابق ما جاء في القرآن المنطوق بقول الله تعالى: {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ }[٦٣]، فسبحان من تحمده السماء بالبروج والأنوار، والأفلاك بالشموس والنجوم والأقمار، والجو بالرعود والبروق والأمطار [٦٤]وأعمق من ذلك استوقفنا النورسي على نوع آخر من الشكر والحمد، إذ لم يسبقه أحد من العلماء إلى بيانه، ألا وهو (الشكر الفطري) فيقول مانصه:" إنه مثلما يحيط كل شيء بالرزق ويستشرفه ويتطلع إليه، فالرزق نفسه أيضاً– بأنواعه جميعاً– قائمٌ بالشكر معنىً ومادةً وحالاً ومقالاً، ويحصل بالشكر، ويُنتج الشكرَ، ويبيّن الشكرَ ويُريه؛ لأن اشتهاء الرزق والاشتياق إليه نوع من الشكر الفطري"[٦٥]**رابعاً: المحمود الحامد،** ويراد به الله تعالى وهو المتفضل بالإنعام على عباده بأن جعل الوجود كله مسخراً لهم يتنعمون بنعمه، ويتلذذون بطيباته، وهم في الوقت نفسه مدركون قيمة تلك النعم الجليلة؛ فيبدون استعدادهم شاكرين حامدين بألسنتهم وقلوبهم وجوارحهم، فيقابلهم المحمود المنعم بالشكر، حامداً لهم صنيعهم بالثناء والثواب.إن الله تعالى قد اتصف بصفة (الشكور [٦٦]، والشاكر) الواردتين في القرآن الكريم، فمن الأولى قوله تعالى: {لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} [٦٧]، وفي قوله: {إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ}[٦٨]، وفي قوله: {وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ}[٦٩]، وفي قوله: {وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ}[٧٠]وأما صفة الشاكر فقد وردت في آيتين، وهو قوله تعالى: { إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ }[٧١]، وقوله تعالى:{ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا}[٧٢]وقد ذكر الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: "لأنه تعالى لما أمرهم بالشكر سمى جزاء الشكر شكرا على سبيل الاستعارة، فالمراد من الشاكر في حقه تعالى كونه مثيباً على الشكر، والمراد من كونه عليما أنه عالم بجميع الجزئيات، فلا يقع الغلط له ألبتة، فلا جرم يوصل الثواب إلى الشاكر والعقاب إلى المعرض"[٧٣]فقد روى البخاري في صحيحه عن أَبِى هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– عَنِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– "أَنَّ رَجُلاً رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أَرْوَاهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ"[٧٤]**خامساً: الحامد المحمود،** وهي صفة تعود للشخص الكامل الذي تصدَّر مرتبة

الحمد والشكر، وهو سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– فتحميداته السنية وتمجيداته العلوية وتقديساته البليغة للذات إلهية جعلته يرتقي مرتبة العبودية الحقة، ليحظى بصفة المحمودية وشرف الحامد الأتم، ويكون حاملا لقب سيد الشاكرين [٧٥]، ويتضح ذلك من خلال الصلوات والتحيات التي صدرت منه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج بقوله:{التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله} والتي قالها باسم البشرية جمعاء، بل باسم جميع ذوي الحياة، بل باسم وأنواع المخلوقات، أي أن جميع الأدعية والتضرعات التي يتضرع بها المضطرون والشكر والحمد على النعم، والعبادات والصلوات كلها خاصة لخالق كل شيء، لله وحده [٧٦]وفي مكان آخر يشير النورسي إلى مكانة النبي الكريم محمد –صلى الله عليه وسلم– وتصدّره مراتب الحمد والشكر، حينما تقر تلك الذات الكريمة بأفضال المولى الكريم جل جلاله، فيقول ما نصه:" أنصت لما يقول حبيب الملك العظيم، انه يدعو بأدبٍ جم وتضرّع ويقول: يا من أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، يا سلطاننا، أرنا منابع واصولَ ما أريتَه لنا من نماذج وظلال.. خذ بنا الى مقر سلطنتك ولا تهلكنا بالضياع في هذه الفلاة.. أقبلنا وارفعنا الى ديوان حضورك.. ارحمنا... اطعمنا هناك لذائذ ما أذقتنا اياه هنا، ولا تعذبنا بألم التنائي والطرد عنك.. فهاهم أولاء رعيتك المشتاقون الشاكرون المطيعون لك، لا تتركهم تائهين ضائعين، ولا تفنِهم بموت لا رجعة بعده"[٧٧].

وفي ختام هذا المبحث ومن خلال إنعام النظر في رسائل النور يتبين لنا أن الشكر هو أعظم أساس من الأسس الأربعة التي يستند إليها سالك أسمى طريق وأعلاه ألا وهو العبودية والحب لله تعالى والمحبوبية، فمشرب رسائل النور تستند على أربعة أسس وهي: العجز المطلق، والفقر المطلق، والشوق المطلق، والشكر المطلق [٧٨].

المبحث الثاني سياقات التحميدات النورية

إن رسائل النور ترشدنا إلى مجموعة من المفاهيم التي لا بد أن تحظى بالاهتمام من قبل الباحثين والدارسين، فطبيعة رسائل النور أنها تخاطب العقل والقلب والوجدان، ليحصل التلاقح والتلاحم فيما بينها لتخرج بمعطيات واقعية وفطرية تكون مرتكزاً لبناء منظومة القيم السامية التي تسموا بالإنسان نحو أعلى عليين.وللسمو إلى هذه المرتبة إنما يكون عن طريق توظيف النعم الجليلة الوفيرة التي تفضل بها الفاطر الحكيم على الإنسان الذي هو ثمرة الكون وخلاصتها [٧٩]، وصرفها في خدمة الغاية التي من أجلها خلق ألا وهي العبودية.إن رسائل النور تحاول توضيح المعاني التي تقوم عليها العبودية، كالإيمان التحقيقي وما يتصل به من الإقرار باللسان أو الجنان أو الأركان، فيكون الصادر من هذه الثلاثة حاصلاً بالإمكان العقلي لا العادي، أي أن الصادر ينبغي أن يكون بغض النظر عن كونه مأموراً به أو لا، فهو من الضروريات ومن اللوازم الحتمية سواء عُرفت الغاية والحكمة منه أو لم يعرف، فالحمد والشكر مثلاً قد جاء الأمر بهما في القرآن الكريم، إلاّ أن الامتثال لذلك الأمر بأدائه يكون ضرورة لا لأجل كونه مأموراً به، بل لكون أن المتفضل الكريم هو أهل بذلك الحمد والشكر. فبالإمكان العادي يستوي ألا يُحمَد المُنعِمُ عند عدم الأمر بالحمد، مع أن يُحمَد عند الأمر به، بينما بالإمكان العقلي يكون الحمد لازما على الإنسان بمقابل نعمة أو من غير مقابل، وهذا هو غاية الامتنان.ولنأخذ مثالاً آخر كالصلوات الخمس التي أمرنا بها، فبالإمكان العادي يكون الأمر طبيعيا ألاّ تُصلّى هذه الصلوات عند عدم الأمر بها، بينما بالإمكان العقلي يكون أداء الصلوات الخمس ضرورية وإن لم يؤمر بها. وإلى هذا المعنى أشار النورسي –رحمه الله– بقوله: "إن إقامة الصلاة واجتناب الكبائر وظيفة حقيقية تليق بالإنسان ونتيجة فطرية ملائمة مع خلقته"[٨٠]إن رسائل النور أشارت إلى نعم عظيمة أنعمها المولى الكريم على الإنسان ليكون حامداً شاكراً، وممتنا لها، إلاّ أنها أولت اهتماما بنعم ثلاث وهي: نعمة الإيمان، ونعمة القرآن، ونعمة الإسلام. فهذه النعم هي أساس جميع النعم الأخرى في الوجود، ولولاها لما توصل الإنسان إلى إدراك أنْعُمِ الله تعالى لقد وردت عبارة: (الحمد لله على نعمة الإيمان) في سياقات متعددة ومناسبات مختلفة، فقد وردت منفردة في أماكن، وأحيانا اقترن بها لفظ (القرآن) تارة، ولفظ (الإسلام) تارة أخرى، ولكل سياق موضوع يناسبه وله ارتباط محدد بتلك العبارة، وبيان ذلك كالآتي:

أولا: التحميدات النورية في سياق الحمد على نعمة الإيمان إن الإيمان أعظم نعمة أنعمها الله تعالى على عباده المؤمنين، فهو عبارة النور الحاصل بالتصديق بجميع ما جاء به النبي عليه السلام تفصيلا في ضروريات الدين وإجمالا في غيرها[٨١].إن الدروس التي تلقيها رسائل النور هي دروس في الإيمان التحقيقي الذي يهب لصاحبه مدارج الرقي في المعرفة الإلهية التي هي الأساس في الكمال الحقيقي [٨٢]فنعمة الإيمان تستوجب حمد الله تعالى وشكره، لأنه مرتكز لجميع النعم التي تفضل بها علينا المولى الكريم، لذا يشير النورسي إلى أن الشكر أهم أسس رسائل النور بعد التفكر، وأن أكثر مراتب الشكر والحمد وحقائقهما قد أُضحت إيضاحا كاملا في أجزاء رسائل النور لذا عمد إلى ذكر بعض مراتب الحمد الذي يقابل نعمة الإيمان في تسع نقاط، فالحمد لله على نعمة الإيمان المزيل عنا ظلمات الجهات الست، وهو إشارة إلى جهة الماضي وجهة المستقبل وجهة الفوق وهو عالم السموات، وجهة التحت وهي عالم الأرض، وجهة الأمام التي يتوجه إلى تلك الجهة كلُ ذوي الحياة مسرعة قافلة خلف قافلة، وجهة الخلف التي تحمل على التحير والتردد متسائلاً من أين؟ إلى أين؟، فالإيمان يزيل مخاوف ما تخفيه هذه الجهات، وتكشف لنا

تلك الظلمات، فتكون مبتسمة بعد أن كانت موحشة، والحمد على نعمة الإيمان المنور لنا الجهات الست من جهة دفع البلايا، وجهة جلب المنافع للإنسان، والحمد لله على نعمة الإيمان الحاوي لنقطتي الاستناد والاستمداد إي أن الإيمان بالذي يملك زمام الكون من الذرات والمجرات، و الحمد لله على نعمة الإيمان ونوره الذي نور لنا الحياة الأبدية، وبشرنا بالسعادة الأبدية، والحمد لله على نور الإيمان الذي عرفنا بخالقنا، وعرفنا بمخلوقاته [٨٣]لقد أيقن النورسي– رحمه الله– أن نعمة الإيمان هي مدار سعادة الإنسان فيقول ما نصه: "فإيماني هذا لذةٌ ما بعدها لذة، لذة كافية وافية ودائمة، وسعادة خاصة نقية لا يعكرها ألمٌ، ففهمت من تلك الآية الكريم: (حسبنا الله ونعم الوكيل) كم يكون إذن عبارة {الحمد لله على نعمة الإيمان} عبارة جديرة ولائقة"[٨٤]إن للشكر منزلة عظيمة، لذا تناولته رسائل النور وأولته اهتماماً كبيراً ، فأصبحت رسالة الشكر من الدروس الإيمانية التي اكتنفتها صفحاتها ولا سيما في المسألة الخامسة من المكتوب الثامن والعشرين [٨٥] ، فالأستاذ يشير في هذه الرسالة إلى أمور مهمة من ضمنها أن في الشكر إيمان صافٍ رائق، وهو يحوي توحيداً خالصاً؛ لأن الذي يأكل تفاحة –مثلاً– باسم الله ويختم أكلها بـ"الحمد لله" إنما يعلن بذلك الشكر، على أن تلك التفاحة تذكارٌ خالص صادر مباشرة من يد القدرة الإلهية، وهي هديةٌ مهداة مباشرة من خزينة الرحمة الإلهية، فهو بهذا القول وبالاعتقاد به يسلّم كلّ شيءٍ –جزئياً كان أم كلياً– إلى يد القدرة الإلهية، ويدرك تجلي الرحمة الإلهية في كل شيء، ومن ثم يُظهر إيماناً حقيقياً بالشكر، ويبيّن توحيداً خالصاً [٨٦].

ثانياً: التحميدات النورية في سياق الحمد على نعمة الإيمان والقرآن لقد أبدت رسائل النور اهتماماً عظيماً بصرف الوجوه إلى أعظم نعمة أنعمها الله تعالى على عباده وهو القرآن الكريم الذي هو قوت وغذاء للقلوب، وقوة وغناء للعقول، وضياء للأرواح، ودواء وشفاء للنفوس، وهو أسمى مرشد، وأقدس أستاذ على الإطلاق، وهو عين الحق ومجمع الحقائق، ولا مثيل له في جامعيته وشموليته، فهو معجزة باهرة [٨٧]إن يقين النورسي وإيمانه بأن القرآن معجزة باهرة، بل أن كل سورة من سوره معجزة، وكل آية من آياته معجزة، بل حتى كل كلمة فيه بحكم معجزة، دفع به أن يقول: "الحمد لله على نعمة الإيمان والقرآن "[٨٨]إن وجه التتابع بين الإيمان والقرآن في التحميدة النورية هو أن برهان الإيمان هو القرآن [٨٩]، فهو كلام ذات الله الجليل البصير بالأزل والأبد معا والشاهد بجميع الحقائق في آن واحد، ومما يشير إلى هذه الحقيقة الآية الكريمة [٩٠]: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا }[٩١]، وقال جل وعلا: { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}[٩٢]. فيفهم من ذلك أن القرآن وسيلة يتحقق بها الإيمان، فكانت النعمتان مرتبطتان ارتباط السبب بالمسبب.

ثالثاً: التحميدات النورية في سياق الحمد على نعمة الإيمان والإسلام تؤكد رسائل أن الإسلام التزام، والإيمان إذعان، أو بتعبير آخر: الإسلام هو الولاء للحق والتسليم والانقياد له، أما الإيمان فهو قبول الحق وتصديقه، فالإسلام والإيمان لا ينفكان عن الآخر، فكما أن الإسلام بلا إيمان لا يكون سببَ النجاة، كذلك الإيمان بلا إسلام لا يكون سبب النجاة [٩٣]، فالحمد لله على نعمة الإسلامية التي هي مرضيات رب العالمين، وفهرسته لأنواع نعمه المادية والمعنوية، حمدا بلا نهاية؛ إذ الإسلام هو الذي أرانا ما يرضى به ويريده ويحبه ربنا ورب العالمين ورب السماوات والأرضين [٩٤]، فالحمد لله على نعمة الإيمان والإسلام بعدد قطرات الأمطار وأمواج البحار [٩٥]ويلفت النورسي نظرنا إلى معنى عميق وهو أنه:" إذا ربى الإنسان بذرة استعداده وسقاها بماء الإسلام، وغذاها بضياء الإيمان تحت تراب العبودية موجها أجهزته المعنوية نحو غاياتها الحقيقة بامتثال الأوامر القرآنية، فلا بد أنها ستنشقّ عن أوراقٍ وبراعم وأغصان تمتد فروعها وتتفتح أزاهيرها في عالم البرزخ وتولّد في عالم الآخرة وفي الجنة نِعَماً وكمالات لا حدّ لها، فيصبح الإنسان بذرةً قيّمةً حاوية على أجهزة جامعةٍ حقيقة دائمة ولشجرة باقية، ويغدو آلة نفيسة ذات رونق وجمال، وثمرة مباركة منورة لشجرة الكون"[٩٦].

الخاتمة

في نهاية هذا البحث أود أن أشير إلى أبرز النتائج التي توصلت إليها، وهي كالآتي:

١– وردت كلمة الحمد ومشتقاتها في القرآن الكريم إحدى وستون مرة، فقد جاء بلفظ: الحمد، وبحمد، وبحمدك، وبحمده، وحميد، ويحمدوا، والحامدون.

٢– استعمل العرب لفظ الحمد بمعنيين: أحدهما بمعنى المدح والثناء، وهو نقيض الذم، وكذا بمعنى الشكر وهو الغالب في الاستعمال في عرف الناس.

٣– أن الشكر أهم أسس رسائل النور بعد التفكر.

٤- إن دلالة الحمد عرفاً عند النورسي أعمق من أن تكون باللسان فقط، إذ يراد بها تعظيم المنعم على النعمة باللسان أو الجنان أو الأركان، وعلى هذا الإساس يكون بين الحمد العرفي والشكر العرفي عموم وخصوص مطلق، فالحمد أعم، والشكر أخص، إذ يراد به صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله وهو العبادة.

٥- إن الحمد والشكر قد جاء الأمر بهما في القرآن الكريم، إلاّ أن الامتثال لذلك الأمر بأدائه يكون ضرورة لا لأجل كونه مأمورا به بل لكون أن المتفضل الكريم هو أهل بذلك الحمد والشكر. فبالإمكان العادي يستوي ألا يحمد المنعم عند عدم الأمر بالحمد، مع أن يحمد عند الأمر به، بينما بالإمكان العقلي يكون الحمد لازماً على الإنسان بمقابل نعمة أو من غير مقابل، وهذا ما يسمى بغاية الامتنان.

٦- أثبتت رسائل النور تفرد الخالق الكريم واختصاصه بالحمد؛ لأن كل ما كان سببا للحمد هو الذي أوجده، فصفة المحمودية ثابتة لله تعالى من حيث كونها مختصة بها على لسان جميع الحامدين والشاكرين.

٧- تلهمنا رسائل النور إلى أن الحامد لابد أن ينظر من النعمة التي أنعمها الله تعالى بها عليه ليعرف قيمة ذلك الإنعام وعظمته، فيتيقن ببصيرة الإيمان، أن ذلك المنعم أبصر به وأقرب منه إليه يتعرف بالإنعام، ويتودد بالإحسان، ويتحبب بالإكرام إلى الإنسان، فالإنسان إنما يكون شاكراً إذا استشعر ذلك التعرف والتودد.

٨- إن الكون وما تسبح فيه من مخلوقات كلها حامدة لله تعالى وشاكرة له سواء كان بلسان الحال أو المقال.

٩- الشكر الفطري هو عبارة عن الميل والاشتياق لاستعمال النعم، واستخدامها حاجة أو تلذذاً أو تذوقاً.

١٠-إن الله تعالى هو المحمود المشكور على نعمه الوفيرة، وعطاياه الجزيلة، والحامدون هم الذين أدركوا قيمة تلك الهدايا الربانية، فأصبحت يرددون بالحمد، ويهتفون بالشكر بلسان الحال أو المقال، فيقابلهم المحمود بالحمد والشكر وبجزيل الثواب يترأسهم سيد الشاكرين محمد صلى الله عليه وسلم فيكون هو السباق بالحمد ليكون محمودا عند المحمود الأول وصاحب العطايا في الأزل.

١١- إن استعمال النعم التي أسبغها الخالق الكريم والالتذاذ بها وتقديم الشكر لله بقوله (الحمد لله) حال الانتهاء إنما يظهر بفعله إيمانا حقيقياً، ويبين توحيدا خالصاً به، لأن قوله ذلك إقرار على صدور تلك النعم من خزينة الرحمة الإلهية.

١٢-إن أسباب الحمد كثيرة، إذ النعم لا تحصى ولا تعد، بصورة ظاهرة وباطنة، كالوجود، والكون، والمخلوقات، والإيمان، والقرآن، والرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم-، والإسلام، ولا تدرك قيمة هذه النعم إلا بالإيمان التحقيقي لا التقليدي، لإن الإيمان التحقيقي ينظر إلى تلك النعم ويعدها هدايا من خالقه وسلطانه، فيدرك قيمة تلك العطايا الثمينة، والاحسانات القمينة، فيتعرف من خلالها على خالقه وموجده.

وختاماً أسأل الله تعالى أن يلهمنا الصواب والسداد، ويوفقنا لنكون من الشكرين الحامدين لأنعمه، ويورثنا الجنة مع عباده الصالحين، آمين، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع
بعد القرآن الكريم

١- إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر- القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- ٢٠١٤م.

٢- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٣- التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد: لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي بن محمد ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ودار العلوم والحكم، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٤- جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٥- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية-القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٦- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)،تحقيق: أحمد محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٧- السيرة الذاتية لبديع الزمان النورسي: تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر – القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- ٢٠١٤م

٨- الشعاعات: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر – القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- ٢٠١٤م.

٩- صحيح البخاري المسمى بـ(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه): محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٠- صحيح مسلم المسمى بـ (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت ٢٦١ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الجيل – بيروت، الطبعة مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤ هـ.

١١- صيقل الإسلام: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر – القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- ٢٠١٤م.

١٢- كتاب التعريفات: لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٣- الكلمات: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر – القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- ٢٠١٤م.

١٤- لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.

١٥- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: لفاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٦- اللمعات: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر – القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- ٢٠١٤م.

١٧- المثنوي العربي النوري: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر – القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- ٢٠١٤م.

١٨- معجم مقاييس اللغة:لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٩- مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت- الطبعة الثالثة- ١٤٢٠هـ.

٢٠- المكتوبات: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر – القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- ٢٠١٤م.

٢١- الملاحق: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر – القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- ٢٠١٤م.

٢٢- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

هوامش البحث:

([1]) الشعاعات ٧٩.

([2]) رسائل النور هي مجموعة من الرسائل يبلغ عددها مئة وثلاث وثلاثين رسالة، ألفها الإمام سعيد بن صوفي ميرزا بن علي بن خضر، وهو كردي الأصل من عشيرة هكاري المتمركزة في كردستان الشمالية من بلاد الأناضول-تركيا- لقب -رحمه الله- ببديع الزمان لنبوغه في العلوم العقلية والنقلية بشهادة العلماء في عصره، ولقب بالنورسي أيضا باعتبار مكان مولده وهو قرية (نورس) التابعة لولاية (بدليس) في سنة (١٢٩٤هـ/ ١٨٧٦م)، حيث استطاع -رحمه الله- أن يجمع الناس على مائدة القرآن الكريم من خلال نشر الحقائق الإيمانية المترشحة من كتاب الله تعالى فأسس بذلك خندقا إيمانيا في وقته يدافع عن حقائق القرآن والإسلام أمام الهجمات الإلحادية الشرسة التي كان تشنها الدول والمنظمات اليهودية إبان الحربين العالميتين الأولى والثانية فضلا عن تصديه لكل الفلسفات المضلة التي كانت تنشرها المؤسسات المدعومة من قبل مصطفى كمال

أتاتورك رئيس تركيا آنذاك، فتمكن النورسي –رحمه الله– أن يشيد قلعة إيمانية رابط هو وطلابه فيها يصدون الأفكار التخريبية المضللة والتيارات المناوئة للإسلام من خلال نشر رسائل النور التي تمكنت من النفوذ إلى العقول والقلوب والمشاعر لتشكل نقطة انطلاق إيماني فريد اجتاحت عموم تركيا والبلدان الأخرى، توفي النورسي– رحمه الله– بمدينة أورفة التركية سنة (١٣٧٩هـ) ودفن فيها، ولكن سرعان ما قامت السلطات التركية بإخراج جثمانه ونقله إلى مكان مجهول. ينظر: السيرة الذاتية ٥٧– وما بعدها.

(٣)ينظر: مقاييس اللغة٢/١٠٠، ولسان العرب٣/١٥٥، والجامع لأحكام القرآن ١/١٧٧.

(٤) سورة آل عمران ١٨٨.

(٥) سورة البقرة ٣٠.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١/٣١٨.

(٧) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز٣٣.

(٨) سورة الصافات ١٨٠–١٨٢.

(٩) تفسير القرآن العظيم ابن كثير٧/٤٦.

(١٠) ينظر: مفاتيح الغيب ١/١٩٠، ولمسات بيانية ١١.

(١١) صحيح مسلم٨/٢٢٨، كتاب الآداب، رقم ٧٦١٦.

(١٢) لم أجده بهذا اللفظ ولكن جاء بلفظ آخر وهو: (مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ) أخرجه الترمذي في سننه عن أبي سعيد الخدري ٤/٣٣٩، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، برقم ١٩٥٥.

(١٣) ينظر: لسان العرب٣/١٥٥

(١٤) تفسيرالطبري١/١٣٨.

(١٥) الجامع لأحكام القرآن١/١٧٨.

(١٦)سورة المؤمنون٣٨.

(١٧)سورة إبراهيم ٣٩.

(١٨) سورة النمل ١٥.

(١٩) سورة الاسراء١١١.

(٢٠) سورة فاطر ٣٤.

(٢١) سورة يونس ١٠.

(٢٢) الشكر اللغوي: هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل على النعمة من اللسان والجنان والأركان. ينظر: التعريفات١٢٨

(٢٣) الحمد العرفي: فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعمًا، أعم من أن يكون فعل اللسان أو الأركان. ينظر: التعريفات٩٣.

(٢٤) ينظر: لسان العرب٣/١٥٦

(٢٥) الجامع لأحكام القرآن ١/١٧٩.

(٢٦) نزهة الأعين٢٥١.

(٢٧)ينظر: صيقل الإسلام١٥٧.

(٢٨) مفاتيح الغيب١/١٩١.

(٢٩) أي: يكون المعلوم لأجلها. ينظر: هامش رقم خمسة من كتاب إشارات الإعجاز٢٥.

(٣٠) الكلمات ٨.

(٣١) سورة الذاريات ٥٦.

(٣٢) ينظر: إشارات الإعجاز٢٤–٢٥.

(٣٣) ينظر المصدر السابق ٢٨، وشرح الملا عبد الحميد على تعليقات الإمام النورسي في كتابه (قزل إيجاز) على السلم المنورق للشيخ عبد الرحمن الأخضري، وهو مطبوع ضمن كتاب صيقل الاسلام١٥٨،

(٣٤) تحدث السيد الشريف الجرجاني عن أقسام الحمد والشكر موضحا العلاقة بينها. للمزيد من التفاصيل ينظر: كتاب التعريفات ٩٣، ١٢٨.

(٣٥) ينظر: إشارات الإعجاز٢٦.

(٣٦) سورة الأنعام ١ .

(٣٧) سورة الكهف١-٣ .

(٣٨) سورة سبأ١.

(٣٩) سورة فاطر١.

(٤٠) ينظر: إلى حاشية الشهاب على سورة الأنعام نقلاً من إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ٢٥.

(٤١) ينظر: المكتوبات٢٩٢.

(٤٢) ينظر: إشارات الاعجاز٢٦

(٤٣) المكتوبات ٢٩١.

(٤٤) ينظر: المكتوبات ٢٩٠.

(٤٥) اللمعات٤٤٨.

(٤٦) ينظر: التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد ١٠٨/٢.

(٤٧) سورة يس ٥٣.

(٤٨) سورة آل عمران٥٤١.

(٤٩) سورة إبراهيم ٧.

(٥٠) سورة الزمر ٦٦.

(٥١) سورة الرحمن ١٣.

(٥٢) ينظر: المكتوبات٤٦١-٤٦٣.

(٥٣) المثنوي العربي النوري١٤٦.

(٥٤) سورة سبأ ١٣.

(٥٥) سورة الاسراء ٣.

(٥٦) سورة النحل ١٢١.

(٥٧) سورة سبأ ١٣.

(٥٨)سورة الزمر٦٦.

(٥٩) أخرجه البخاري من حديث عروة ، كتاب بدء الوحي-باب انتظر حتى تدفن- برقم ٤٨٣٧، ١٣٥/١.

(٦٠) سورة التوبة ١١٢.

(٦١) الشعاعات٥٩.

(٦٢) اللمعات٤٥٢.

(٦٣) سورة الرعد ١٣.

(٦٤) ينظر: المثنوي العربي النوري ٤٥٤.

(٦٥) المكتوبات٤٦٠.

(٦٦) وردت هذه الصفة في القرآن الكريم أربع مرات.

(٦٧) سورة فاطر٣٠.

(٦٨) سورة فاطر ٣٤.

(٦٩) سورة الشورى٢٣.

(٧٠) سورة التغابن ١٧.

(٧١) سورة البقرة ١٥٨.

(٧٢) سورة النساء ١٤٧.

(٧٣) مفاتيح الغيب١١/٢٥٢.

(٧٤) صحيح البخاري ١/٥٤، كتاب بدأ الوحي، برقم١٧٣.

(٧٥) ينظر: المكتوبات ٤٦٨.

(٧٦) ينظر: الشعاعات٦٤١، والملاحق (ملحق أميراغ ٢) ٣٩٠.

(٧٧) ينظر: الكلمات ٥٢.

(٧٨) ينظر: المكتوبات٤٦٨.

(٧٩) ينظر: الكلمات ٧٩٣، واللمعات٢٦٥.

(٨٠) ينظر: الكلمات ١٧.

(٨١) ينظر إشارات الإعجاز ٤٨

(٨٢) ينظر: المصدر السابق ٨٥١

(٨٣) ينظر: اللمعات٤٢٧، والمثنوي العربي النوري١٤٦

(٨٤) ينظر: الشعاعات ٧٩.

(٨٥) ينظر: المكتوبات ٤٥٩

(٨٦) ينظر: المصدر السابق نفسه.

(٨٧) ينظر: الكلمات ٤٣٦، والمكتوبات ٤٤٦، والشعاعات ١٦٧.

(٨٨) ينظر: المكتوبات ٤٩٨.

(٨٩) ينظر: الكلمات ٨٨٠.

(٩٠) ينظر: المصدر السابق ١٥٣.

(٩١) سورة الكهف ١.

(٩٢) سورة الفرقان ١.

(٩٣) ينظر: المكتوبات ٤٣.

(٩٤) ينظر: اللمعات ٤٣٢، والمثنوي العربي النوري ١٤٦

(٩٥) ينظر المثنوي العربي النوري ٢٤٢.

(٩٦)ينظر: الكلمات٣٦٣